الأكثرية بصورة لا يقوم عليها اي اعتراض . وربما كان معنى هذا الوضع هو ما ساعد القيصر على الشفاء لأن المقاومة اثارت إرادته القوية ودفعتها للعمل إذ لم يكن الرجل الذي يسمح لنفسه بأن يأخذه الاحباط . ثم املى وثيقة خاصة كان ينبغي أن يوقعها الأمير فلاديمير الذي أدخل عليه ولكن هذا الأمير العنيد رفض بكل صراحة وأمام إيفان أن يؤدي اليمين . وأنذره إيفان بأن خطيئة الرفض سترزح ثقيلة على نفسه ثم طلب من البويار الذين ادوا اليمين بأن يبقوا مخلصين لوعدهم وأن يعملوا بمقتضاه إذا ادركته المنون .

وفي اليوم التالي اخطر إيفان هؤلاء البويار بأن عليهم في حال موته أن يحموا القيصرة وأن يقودوها هي وطفلها الى بلد أجنبي يكونان فيه بامان .

ثم صاح ملتفتا الى العمين : « انتم يا آل زاخارين ، لقد خفتم أليس كذلك ؟ ،ولكن لاتصدقوا أن يقوم سلام بينكم وبين البويار ، فستكونون اول الجثث التي سيجرونها الى الخارج . اظهروا أنكم شجعان واحموا ولدي وأمه ولا تسمحوا للخونة بإذلال زوجتي ! » .

وكان من بين الأنصار الرئيسيين للامير فلاديمير الأمراء بطرس تشيشيناتوف وإيفان پرونسكي وسيميون روستوفسكي وديمتري أوبولنسكي وقد أخافهم الكلام الغاضب الذي وجهه إيفان لآل زاخارين . ولم يكن يبدو أن القيصر سيموت فعلا ، والمرارة والحقد اللذان تبديا في اقواله اظهرا لهم اخطار ما ورطوا به أنفسهم من مؤامرات . وبعد مداولة جديدة فيما بينهم قرروا أداء اليمين وراقب بعضهم بعضاً أدق مراقبة عند تقبيل الصليب .

بعد هذه المجهودات ارتمى إيفان على سريره ولكن ليس من أجل أن يموت ، فقد صمم أن يعيش بعون الله ، وصلى بصوت خافت وظنوا أنه في غيبوبة بينما كان في حالته هذه يقدم نذرا بأنه اذا استرد صحته